بتاريخ 13 رجب 1446
المواسعة و المضايقة

الجلسة 56

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِين

الجواب القرآنيّ لإمحاء سهو النّبيّ

لقد بَرهنّا مسبقاً ببضع آيات صريحة على عصمة آل البيت عن الأرجاس و نسيانهم و عيبهم، و طبعاً على استحالة سهوهم و إسهائهم، و في هذه الجادّة أيضاً قد استَعرض شيخ الطّائفة روايات السّهو ثمّ أفتى قائلاً:

«... وَ هَذَا مِمَّا تَمْنَعُ الْعُقُولُ مِنْهُ فَأَمَّا مَا تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ الْآخَرُ الَّذِي جَعَلْنَاهُ شَاهِداً عَلَى الْحَدِيثَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ فَكَلَّمْتُهُمْ وَ كَلَّمُونِي لَيْسَ يُنَاقِضُ مَا نَذْكُرُهُ مِنْ أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ عَامِداً وَجَبَ عَلَيْهِ إِعَادَةُ الصَّلَاةِ لِشَيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ قَالَ كَلَّمْتُهُمْ وَ كَلَّمُونِي عَامِداً أَوْ نَاسِياً وَ إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِيهِ حَمَلْنَاهُ عَلَى السَّهْوِ وَ الثَّانِي أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهِ تَصْرِيحٌ بِالْعَمْدِ لَجَازَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ مَنْ سَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ نَاسِياً وَ ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِاسْتِبَاحَةِ الْكَلَامِ كَمَا أَنَّهُ سَبَبٌ لِاسْتِبَاحَتِهِ بَعْدَ الِانْصِرَافِ مِنَ الصَّلَاةِ فَلَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ إِعَادَةُ الصَّلَاةِ لِجَهْلِهِ بِهِ وَ لِارْتِفَاعِ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ لَا يَسُوغُ ذَلِكَ».[1]

و قد أعاد مقالته ضمن الاستبصار أيضاً قائلاً: «وَ سَهْوِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ ذَلِكَ مِمَّا تَمْنَعُ مِنْهُ الْأَدِلَّةُ الْقَاطِعَةُ فِي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ السَّهْوُ وَ الْغَلَطُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.»[2]

أجل ربّ زَاعم يَزعُم انتساب النّسيان إلى بعض الأنبياء نظير الآية التّالية:

«فَلَمّٰا بَلَغٰا مَجْمَعَ بَيْنِهِمٰا نَسِيٰا حُوتَهُمٰا .... قٰالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنٰا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَ مٰا أَنْسٰانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطٰانُ أَنْ أَذْكُرَهُ...»[3]

بينما قد تَنزَّهت ساحة النّبيّ الأكرم حتّى عن النّسيان و ذلك وفقاً للآية التّالية: «سَنُقْرِئُكَ فَلاٰ تَنْسىٰ إِلاّٰ مٰا شٰاءَ اللّٰهُ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ مٰا يَخْفىٰ»[4] و من المبرَم أنّ هذا الاستثناء لا يدلّ على تحقّق النّسيان بمشيئة الله تعالى في الخارج، بل يُعدّ تِبياناً لقدرة الله على إبراز كلّ شيئ و إظهاره ثبوتاً عقليّاً.

تفسير صاحب الميزان حول وقوع النّسيان

و قد فسَّر نسيان الأنبياء بأسلوب لائق قائلاً:

«و التّقدير «و ما أنساني ذكر الحوت لك إلا الشيطان فهو (الفتى) لم ينس نفس الحوت و إنما نسي أن يَذكر حاله التي شاهد منه لموسى، و لا ضير في نسبة الفتى نسيانه إلى تصرف من الشيطان بناء على أنه كان يوشع بن نون النبي و الأنبياء في عصمة إلهية من الشيطان لأنهم معصومون مما يرجع إلى المعصية و أما مطلق إيذاء الشيطان فيما لا يرجع إلى معصية فلا دليل يمنعه قال تعالى: «وَ اذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَ عَذابٍ».

و قوله: «وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً» أي اتخاذا عجبا فعجبا وصف قام مقام موصوفه على المفعولية المطلقة، و قيل: إن قوله: «وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ» قول الفتى و قوله: «عَجَباً» من قول موسى، و السياق يدفعه، و اعلم أن ما تقدم من الاحتمال في قوله: «نَسِيا حُوتَهُما» إلخ جار هاهنا و الله أعلم.»[5]

و استِكاملاً لمقالته:

· سنؤكّد بأنّ الشّيطان الذي قد مسَّ النّبيّ أيوبَ، لم يكُ من جنس الوَسواس الخَنّاس الذي يَدعو إلى الكفر و المعصية و... بل يُعدّ كناية عن العامل الذي قد تَسبَّب الأمراض و البلاوي و المشاقّ لأيوب عليه السّلام بحيث يَصنع أحداثاً مشومة و يُجنِّد جنوداً للإيذاء، و من الاستعمال الشّائع القرآني أنّ اللّفظ الواحد يُستخدَم ضمن معاني غزيرة – كما سنوضّحه أكثر- فبالتّالي، نظراً لعصمة الأنبياء التّكوينيّة العقليّة و القطعيّة قد فسَّرنا هذه الآيات المتَشابهات بما تَلوناه عليك.

· سنُعيد المتشابِهات إلى المحكَمات وفقاً لتوصية آهل البيت حين تفسير القرآن، و لهذا سنَستشهد بآيات دالّة على «عدم قدح الشّيطان بعصمة الأنبياء إطلاقاً» نظير: «قٰالَ رَبِّ بِمٰا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاّٰ عِبٰادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قٰالَ هٰذٰا صِرٰاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبٰادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰانٌ إِلاّٰ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغٰاوِينَ».[6] و قد صرَّح تعالى في حَقل آخر أيضاً قائلاً: «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. إِنَّمٰا سُلْطٰانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ».[7] فبالتّالي لا يُطيق الاستِحواذَ عليهم لا في معصية و لا في وسوسة و لا في الورود في نواياهم و تفكيرهم و... أيضاً.[8]

· و أمّا موارد استعمال لفظ فارد ضمن معان متكاثرة، فقد ازدادت نماذِجها ضمن القرآن الكريم نظير:

Ø لفظة «الفتنة»حيث قد استُعملت بمعنى الشّرك و البلاء و الحرب و الاختبار و...

Ø لفظة «الحرج» حيث قد استُخدمت لتسعة معان متلوّنة في المصطَلح القرآنيّ.

Ø لفظة «الشّيطان» حيث قد استُعمل كمسبّب الشّرّ و مطلق الشّؤم و البلاء نظير الآيَتين التّاليَتين: «إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعٰاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطٰانِ وَ لِيَرْبِطَ عَلىٰ قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدٰامَ»[9]

«إِنّٰا زَيَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْيٰا بِزِينَةٍ الْكَوٰاكِبِ وَ حِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطٰانٍ مٰارِدٍ لاٰ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلىٰ وَ يُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جٰانِبٍ دُحُوراً وَ لَهُمْ عَذٰابٌ واصِبٌ إِلاّٰ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهٰابٌ ثٰاقِبٌ»[10]

فامتداداً لذلك قد استَنتجنا أنّه لا يُحمل معنى آية على آية أخرى بصورة كليّة دوماً إذ يُعدّ المصحف الشّريف كتاباً مُستصعَب الإدراك لا يَعقله إلا أولوا الألباب ـوفقاً للآيات و الرّوايات-.

---

[1] طوسى محمد بن حسن. تهذيب الأحكام. Vol. 2. ص181 تهران ـ ايران: دار الكتب الإسلامية.

[2] طوسى محمد بن حسن.. الاستبصار فيما اختلف من الأخبار. Vol. 1. ص371 تهران ـ ايران: دار الكتب الإسلامية.

[3] سورة الكهف، الآيات 61-63.

[4] سورة الأعلى، الآيات 6-7.

[5] الميزان في تفسير القرآن، ج13، ص: 341

[6] سورة الحجر الآيات 39-43.

[7] سورة النّحل، الآيات 99-100.

[8] و في هذا المضمار أيضاً قد صرّح تعالى ضمن سورة الحجّ الآيات 52–53 قائلاً: «وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لاٰ نَبِيٍّ إِلاّٰ إِذٰا تَمَنّٰى أَلْقَى الشَّيْطٰانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللّٰهُ مٰا يُلْقِي الشَّيْطٰانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللّٰهُ آيٰاتِهِ وَ الله عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجعَلَ مَا يُلقِي الشَّيطَانُ فِتنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ وَ القَاسِيَةِ قُلُوبِهِم وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ».

[9] سورة الأنفال الآية 11.

[10] سورة الصّافات الآيات 6–11.